مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(أفسس ٤: ١-٧)

يا إخوةُ أطلبُ إليكم أنا الأسيرَ في الربِّ أن تسلُكوا كما يحِقُّ للدعوةِ التي دُعيتُم بها* بكُلِّ تواضُعٍ ووداعةٍ وبِطولِ أناةٍ محتملينَ بعضُكم بعضاً بالمحبَّة* ومجتهدينَ في حِفظِ وحدةِ الروحِ برباطِ السلام* فإنَّكم جسدٌ واحدٌ وروحٌ واحد كما دُعيتُم إلى رجاءِ دعوتِكم الواحد* ربٌّ واحِدٌ وإيمانٌ واحِدٌ ومعموديَّةٌ واحِدةٌ* وإلهٌ آبٌ للجميعِ واحدٌ هو فوقَ الجميعِ وبالجميعِ وفي جميعِكم* ولكلٍّ واحدٍ منَّا أُعطِيتِ النِّعمةُ على مقدارِ موهِبةِ المسيح.

الإنجيل

(لوقا ١٢: ١٦-٢١)

قال الربُّ هذا المَثَل: إنسانٌ غنيٌّ أخصَبَتْ أرضُهُ* ففكَّرَ في نفسِهِ قائلاً ماذا

القديس إقليموس الرومي

تعيّد الكنيسة المقدسة للقديس إقليموس الروماني في الرابع والعشرين من شهر تشرين الثاني، وقد ارتبط اسمه بالرسالة التي وجهها إلى أهل كورنثوس نتيجة الإضطرابات التي حصلت في كنيستهم وأدّت إلى انتفاضة بعض المشاغبين على قادة الكنيسة وأطاحوا بهم حسداً وهم أبرياء. ففي هذه الرسالة يحذرهم من الحسد والكبرياء ويدعوهم إلى التوبة والتمثّل بمحبة الله وإلى الحفاظ على الترتيب الكنسي الذي تسلّموه من الرسل الذين بدورهم تسلّموه من الرب يسوع.

القديس إقليموس (Clement) هو أسقف روما الثالث بعد الرسول بطرس، ويذكر انه كان على كرسي روما بين العامي ٩٢ و١٠١ للميلاد، ويقول ترتوليانوس إن بطرس الرسول سامه بنفسه.

كان القديس إقليموس وديعاً متواضعاً يعرف الكتب المقدسة وحكمة الإغريق جيداً، ما مكّنه من التوجه إلى اليهود والأمميين وإقناعهم.

اهتم بتدوين أعمال الشهداء الذين عُرفوا في روما ونواحيها وقد عيّن سبعة كتّاب ووزعهم على أنحاء روما ليدوّن كلٌّ منهم أعمال الشهداء في ناحيته. كذلك أنشأ جماعة عذارى اهتمت بالعبادة وبخدمة القريب.

لقد نجح قديسنا ببشارة الوثنيين وهدايتهم نجاحاً كبيراً أثار القلق في نفوس ذوي السلطان فنفوه إلى بلاد القرم (شبه جزيرة في أوكرانيا)، وهناك اكتشف وجود عدد كبير من المسيحيين محكوم عليهم بالأشغال الشاقة في مقالع المرمر. وكأن الله أرسل لهم إقليموس لتعزيتهم وتقويتهم في إيمانهم بالرب يسوع المسيح.

يعتبر المؤرخون ان رسالة القديس إقليموس إلى أهل كورنثوس هي من أقدم الوثائق الكنسيَّة وأهمها بالنسبة إلى التراث الأدبي المسيحي، بعد الأناجيل المقدسة ورسائل الرسل، وفي مقدّمتها رسائل القديس بولس. وقد اعتبرها الأقدمون في مصر وسوريا جزءاً من الكتاب المقدّس. فكاتب الرسالة معروف، والحالة التي دعت لكتابتها معروفة أيضاً، والزمن الذي كُتبت فيه مؤكدٌ تاريخياً. والذي دفع القديس إقليموس لكتابتها هو النزاع الذي انفجر في كنيسة كورنثوس، بين

العدد ٢٠٠٧/٤٦

الأحد ١٨ تشرين الثاني

تذكار القديسين الشهيدين

بلاطُن ورومانوس

اللحن الثامن

أصنعُ. فإنَّهُ ليس لي موضِعٌ أخْزُنُ فيه أثماري* ثمَّ قال أصنعُ هذا: أهدِمُ أهرائي وأبني أكبرَ منها وأجمعُ هناك كلَّ غَلاَّتي وخيراتي* وأقولُ لنفسي: يا نفسُ إنَّ لكِ خيراتٍ كثيرةً موضوعةً لسنينَ كثيرةٍ فاستريحي وكُلي واشرَبي وافرَحي* فقالَ لهُ اللهُ يا جاهلُ في هذه الليلةِ تُطلَبُ نفسُك منك. فهذه التي أعدَدْتَها لِمَن تكون* فهكذا مَن يدَّخِرُ لنفسِه ولا يستغني باللهِ* ولمَّا قال هذا نادى مَنْ لهُ أُذُنان للسمعِ فليسمَعْ.

تأمل

نعم انك تتكلّم بالخفية مع نفسك لكن كلماتك تُدان في السماء ولذلك يأتيك الجواب من هناك. ما هذا الذي تقوله: «يا نفس ان لك خيرات كثيرة فكلي واشربي وافرحي» (لو ١٢: ١٩). ما هذه الجهالة؟ ان كان لديك نفس خنزير لما استطعت أن تعطيها أجمل من هذا الكلام. أبهذا القدر أنت تتشبه بالحيوانات؟ أبهذا القدر أنت جاهل لكل ما ينفع النفس حتى تقدّم لها أغذية الجسد وما يتقبّله

المسيحيين، أيام حكم الإمبراطور دوميتيانوس (بين سنتي ٨١ و٩٦). فالإنقسامات، التي استنكرها قبلاً بولس الرسول وأنّب عليها، ظهرت من جديد بسبب بعض الأشخاص المتكبرين المتغطرسين وعديمي الفطنة، الذين تمرّدوا على السلطة الكنسيَّة، وأقصوا البعض من القيّمين على شؤون المؤمنين فيها. فتدخل، بصفته مسؤولاً عن كنيسة المسيح، ليضع حدًّا للنزاع، وليتلافى الفضيحة والعار أمام الوثنيين.

يعتبر القديس إقليموس في رسالته هذه أن أساس المشكلة يكمن في الحسد الذي يؤدي إلى عكس عمل الفضائل، التي كان أهل كورنثوس يتحلّون بها. فالحسد «يقود إلى جريمة قتل الأخ» بالإشارة إلى قايين وهابيل، و«الحسد والغيرة اضطهدا الأعمدة الكثيرة الشرف والعدالة اضطهاداً حتى الموت»، «الحسد فرّق أزواجاً»، «الحسد والفتنة هدمتا مدناً كبيرة ومحتا أمماً عظيمة».

والحل قائم في التوبة: «لننظرنّ إلى دم المسيح ولنعرف قيمته الغالية في نظر الآب. إن إراقته من أجل العالم حمل للعالم نعمة التوبة. لنرى وننظر ان الله وهب التوبة عبر العصور والأجيال لمن أرادوا العودة إليه».

هذه التوبة تتطلّب من الكورنثيين طاعة لله وإيماناً به على مثال نوح وإبرهيم، وعلى الأخص تواضعاً، فالمسيح «هو مسيح المتواضعين لا مسيح الذين يتعالون على قطيعه. إن صولجان عظمة الله، الرب يسوع المسيح، لم يأتِ بقطار العجرفة والكبرياء مع أنه يستطيع أن يفعل ذلك، بل بقطار التواضع كما أعلن الروح القدس» (أنظر أشعياء ٥٣: ١–١٢) ، «فإذا كان الرب قد تواضع فما هو المطلوب منا نحن الذين نقبل إليه وعلى كتفينا نير النعمة؟» وإذا أقبلنا إلى الله بتواضع مبتعدين عن الشرور أفاض علينا رحمته، هو الأب الصالح الرحيم الذي يشفق على خائفيه. وكجواب على رحمته علينا أن نرفع الأيادي النقية التي لا دنس فيها ونحب هذا الأب الرحيم الذي جعلنا من مختاريه. هذا ما يدفعنا إلى نبذ الأعمال الشريرة والسعي إلى عمل الصلاح هاربين «من النميمة ومن الخلافات الصبيانية القذرة والسكر والشهوات الوضيعة والدعارة البغيضة والكبرياء الآثم». و«إذا ابتعدنا عن هذه الأمور كلّها التي لا يحبّها الله نكون من محظوظي الله». والذي يحسب نفسه لله يسعى لاكتساب محبة المسيح «ومن كان له محبة المسيح فليفعل ما للمسيح» وعليه أن يطلب الغفران عن كل الخطايا ويطلب الخير لأخوته الذين أخطأوا وكانوا سبباً للشقاق. وإذا كان قد أخطأ عليه أن يعترف بخطاياه للرب، ويدعو الذين كانوا سبباً للفوضى إلى الخضوع لقادتهم الروحيين مصلحين نفوسهم بالتوبة وحانين ركب قلوبهم، متعلّمين الطاعة وطارحين عنهم الادعاء ووقاحة اللسان المتكبر. «أفضّل أن تكونوا صغاراً في قطيع المسيح لا مشهورين خارج الرجاء المسيحي».

ويختم رسالته بدعوة الكورنثيين إلى إرضاء الله بالعدل وطول الأناة وإلى حفظ الوحدة وتناسي الأحقاد بمحبة وسلام.

في الصلاة

ثمّة العديد من العوائق المتنوّعة في الصلاة، كالتردّد والقلق والأوجاع الوهميّة (التي لا وجود لأيّ مرض أو سبب يعلّلها). ويمكننا أن نزيد على ذلك الجوع والعطش والنعاس وقلّة الصبر والذكريات والتعب. فيمكننا تذكّر تفاصيل حسبنا أنّنا أودعناها قبورَ النسيان، أرقام هواتف، أقوال شيوخ، شجارات وانزعاجات ماضية. كلّ هذه الأمور يمكنها أن تكون عوائق أمام المبتدئين، لكن يجب ألاّ

الجوف ترسله إلى النفس؟

لو كان عندها فضيلة، لو كانت ممتلئةً من الأعمال السامية، لو كانت مرتبطة بالله، إذ ذاك تملك خيرات نافعة لها وتفرح بالجمال الذي يليق بها، لكنك تهتم بما للأرض وبطنك هو إلهك وأنت كلك بشر، مستعبَد لأهوائك. اسمع الإسم الذي يليق بك، لم يعطك إياه إنسان بل الرب نفسه: «يا جاهل، في هذه الليلة تُطلب نفسك منك فهذه التي أعددتها لمن تكون»؟ (لو ١٢:٢٠). ما تقوله هو أشنع من الهلاك الأبدي: «أهدم أهرائي وأبني أكبر منها» (لو ١٢: ١٨). حسناً تفعل إن كنت تهدم أهراء الظلم، إن كنت تُسقط بيديك ما قد بنيته بطرق سيّئة. أمحُ كل بناء أصبح موطن الطمع، إنزع عنه السطح واسقط خارج جدرانه وليخرج إلى الشمس القمح المعفّن. أخرج من السجن الثروة المسجونة، أبعث خارجاً كل ما يوجد في مستودعات الشيطان المظلمة. «أهدم أهرائي وأبني أكبر منها». وإن ملأت هذه الجديدة فماذا

نغتمّ إضافةً إلى هذه، هناك التخيّلات والمخاوف الشيطانيّة التي تقلق عادةً المتقدّمين في الصلاة، وفي بعض الأحيان المبتدئين لكن بدرجات أقلّ.

إذاً، يمكننا القول إنّ الشيطان يستغلّ إهمالنا وعدم انتباهنا بشكل أساسي ليترك قلوبنا جاهلةً حياة الصلاة، مسلّطاً علينا عواصف من الأفكار والتخيّلات التي تقذفنا بعيداً عن جوهر الصلاة. لكن يجب أن نبقي في أذهاننا ما يُعلَن في القداس الإلهي: «الأبواب، الأبواب، بحكمة، لنصغِ»؛ فأبواب أذهاننا وقلوبنا يجب أن توضع تحت حراسة مشدّدة حتى لا يتمكّن الشرير من دخولها والعبث بها بحرية.

إنه لمِنَ الصعب أن نحرس أفكارنا ونحميها من النظريّات الشريرة والمكر الشيطاني والرؤى الخاطئة، لذلك نحتاج هنا إلى انتباه أشدّ. فالهدف من الصلاة ليس رؤية الله إنّما طلب رحمته، لذلك يمكن للرغبة الجامحة في رؤية الله أن تكون بداية الخطأ. فدعونا نعيش بحسب ما نحن عليه، عاجزين وغير مستحقين، وإذا شاء الله فسيُظهر نفسه لنا، أمّا نحن فيجب ألاّ يكون هذا هدفنا.

كان أحد النسّاك يصلّي مرّةً في الصحراء فجُرِّبَ بظهور نور كاذب. بسبب تواضعه، اعتبر هذا الناسك نفسه غير أهل للنظر إلى النور الإلهي، كما أراد أن يَتجنّب الأنوار الكاذبة، فطمر وجهه في الرمال، حينئذٍ، اختفت التجربة وعمّ سلامٌ لا يُعبَّر عنه قلب هذا الناسك. هذه القصة تُظهر لنا كم يجب أن نكون حذرين ومتيقظين.

يُخبرنا القديس نيلُس عن ناسك لدغته أفعى بينما كان يصلّي فلم يتحرّك إلى أن أتمّ صلاته، و«مَن يحبّ الله أكثر من نفسه لا يُصاب بأيّ أذى».

ما يميّز الإنسان المعاصر هو الإحساس الشديد بالعجلة وعدم الصبر. فهو يريد أن يحصد من دون أن يتعب بالزرع، كما أنّ عدم الصبر الذي يعشّش في داخله يجعله يريد أن يصلّي بعَجَلة طالباً الاستجابة السريعة لطلباته. إنّه يريد المعجزات والرؤى والظهورات الإلهيّة من دون أن يتعب مصلّياً. هذه الرغبات النقيّة إنّما الساذجة يستغلّها، بشكل مخيف وخَطِر، الكثير من الذئاب المتّشحة بثياب الحملان.

إنّ الصلاة الحقيقيّة، على حسب قول القديس يوحنا السلّمي، هي أمّ الدموع وابنتها. الندم والتوبة هما رفيقا الصلاة الدائمان. إن الصلاة بندم وتوبة ترتكز على حياة مليئة بالانتباه لوجود الله الدائم فيها ولنقاوة قلوبنا وتواضع نفوسنا، إضافةً إلى تذكّر سرّ الموت والتأمل فيه دائماً. وكما أنّ النار والماء لا يجتمعان، كذلك الأمر بالنسبة إلى التوبة وحياة الرفاهية. وإذا وعينا كثرة التدخلات الإلهيّة النافعة في حياتنا لامتلأت عيوننا بعَبَرات الفرح بسبب هذه النِعَم. والترتيل الأرثوذكسي مُشبَعٌ بالدموع العذبة، دموع الشكر الممزوجة بدموع التوبة والندم، وهذا ما يُسمّى نُسكيًّا بالحزن المفرح.

من الممكن أنّ الله يفضّل الصلاة المقترنة بدموع الندم والتوبة، لكن يجب أن نبقى حذرين لئلاّ نخسر عطيّة الدموع بسبب كبريائنا. وأن نتذكر خطايانا عموماً، وتذكّر خطيئة معيّنة ليس بالضرورة كافياً لكي نشعر بالندم والتوبة.

القديس برصونوفيوس يقول إنّ التوبة والندم يأتيان عندما نروّض رغباتنا، كأن نستطيع رذل الأمور غير الروحيّة والدنيويّة. ومن المهمّ أن نستطيع التمييز بين التوبة الحقيقيّة والدموع السطحية والعاطفية.

إذاً، الصلاة من دون توبة وندم هي، على حسب قول الشيخ إيلياس، كوجبة طعام من دون طعم. أمّا المغبوط ثيوغنوستُس فيقول إنّ التوبة والندم ممكنان بواسطة الصلاة الحارّة والسهر والتواضع.

القديس يوحنا السلّمي يقول إن كان

تفكّر بعد ذلك، أتهدمها من جديد لتبني غيرها، أيوجد هناك أجهل من ذلك؟ ان تجاهد بلا نهاية في البنيان والهدم؟ ان شئت لديك بتصرّفك خزائن وهي بيوت الفقراء. إجمع لنفسك كنزاً في السماء وما تخزنه هناك (أي لدى الفقراء) لا يأكله السوس ولا يتلفه العت ولا يسرقه اللصوص. «ولكني سوف أعطي أولئك ما هم بحاجة إليه عندما أملأ أهرائي الجديدة». ولكنك تحدّد زمان حياتك مطوّلاً فانتبه للذي سوف يحصدك في هذا الزمن الذي أنت تثق به. وعدك هذا يشهد لفضيلة لكنه برهان على خبثك وشرّك لأنك تعدْ بأنك ستعطي لاحقاً لكنك تتهرّب في الوقت الحاضر. ما الذي يمنعك من أن تعطي الآن؟ أليس الفقير بقربك؟ أليست أهراؤك ملأى؟ ألا يكون أجرك مضموناً والوصية واضحة؟ الجائع يتضوّر جوعاً والعريان يرتجف من البرد... وأنت ترجئ عمل الرحمة. اسمع لما يقوله سليمان: لا تقل تعالَ غداً لكي أعطيك». أنت لا تعلم ما سوف يأتي به الغد.

العقل يشاء مشاركة القلب في الصلاة من دون أن يستطيع ذلك، فيجب تالياً تلاوة الصلاة شفهياً، بينما يتمرّن العقل على كلمات هذه الصلاة، وحين نصبح قادرين أن نصلّي من دون قيد أو تخيّلات تشتّت انتباهنا، يمنحنا الله نعمة الصلاة القلبيّة.

الصلاة المدعوّة «صلاة يسوع» هي ترداد لعبارة: «يا ربّي يسوع المسيح ارحمني أنا الخاطئ». قوّة هذه الصلاة غير محدودة؛ فاسم يسوع يقهر الشياطين، كما يخبرنا القديس أنطونيوس الكبير. ويقول القديس يوحنا الذهبي الفم إنّ امتلاك هذه الصلاة القلبيّة ليس مسألة يوم أو يومين، لكنّه يحتاج إلى الكثير من الوقت والجهد، إلى أن يختفي الشيطان ويحلّ المسيح مكانه مالكاً القلب.

حسب القديس نيلُس الناسك، إنّ اسم يسوع هو أفضل دفاع ضد الأعداء الذين نعني بهم الشهوات الجامحة والرغبات الشريرة والمخططات الشيطانية وغيرها.

إنّ الصلاة المستمرة هي وليدة المحبّة العظمى، لكنّنا نفقدها متى أصبحنا غافلين وعاطلين. أعمالنا لا يمكن أن تعرقل محبّتنا لله، فرجل الله، مهما كان يفعل، يمكنه أن يتذكّر الله، ممجّداً وشاكراً إيّاه دائماً. الله يحبّنا جميعنا، لكنّه يحبّ الذين يحبّونه بشكل خاص. وتالياً، فإنّ صلاتنا تكشف عن مدى حبّنا لله كما أنّ محبّة الله لنا تظهر في الصلاة التي منحنا إيّاها لكي نقدر، متى شئنا، أن نتخاطب معه. هكذا جعل القدّيسون من حياتهم صلاةً مستمرّة.

الأنبا بيمن، معلّم الفطنة العظيم، يقول إنّ ثمّة ثلاثة مبادئ أساسيّة مفيدة: خوف الله، الصلاة المستمرّة، ومحبّة القريب. ويخبرنا الأنبا ذولاس، تلميذ الأنبا بيساريون، أنّه وجد معلّمه في وضع صلاة مستمرّة رافعاً يديه مدّة أربعة عشر يوماً، ولم يزعجه إلاّ عندما رأى أنّه أنزل يديه.

القديس باسيليوس الكبير يقول إنّ الصلاة المستمرّة هي أن تتّحد بالله من خلال أسلوب حياتك كلّها، حتى تصبح حياتك صلاة دائمة. أمّا الأنبا اسحق فيقول إن لم تملأ نعمة الروح القدس قلوبنا لا يمكننا الوصول إلى الكمال في صلاتنا. فعندما يسكن الروح القدس قلوبنا لا يعود أيّ شيء يقطع صلاتنا حتى ونحن نيام.

دخول السيدة إلى الهيكل

بمناسبة عيد دخول سيدتنا والدة الإله الفائقة القداسة إلى الهيكل يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الثلاثاء ٢٠ تشرين الثاني ٢٠٠٧ وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف م ن صباح الأربعاء ٢١ تشرين الثاني في كنيسة دير دخول السيدة في الأشرفية.

عيد القديسة كاترينا

بمناسبة عيد القديسة العظيمة في الشهيدات كاترينا يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء السبت ٢٤ تشرين الثاني ٢٠٠٧ وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الأحد ٢٥ تشرين الثاني في كنيسة القديسة كاترينا في دير زهرة الاحسان.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb